مذكرة

الأصول المنهجية للفرق الإسلامية

السنة الثانية

أصول الدين

أ.د مرزوق العمري

أولا

عوامل نشأة الفرق الإسلامية

ذهب مؤرخو المذاهب الإسلامية إلى أنه تكاملت عدة عوامل بعضها ديني وبعضها الآخر تاريخي، بعضها تبلور في الداخل الإسلامي فهو عامل داخلي، وبعضها الآخر مؤثرخارجي فهو من العوامل الخارجية، هذه المبررات شكلت بتكاملها المبررات الواقعية لنشأة الفرق الإسلامية

1- العــوامل الــداخليــة:

1-1.: طبيعة القرآن والحديث: لقد صنف علماء الإسلام نصوص الوحي من القرآن والسنة إلى صنفين: المحكم وامتشابه، وهذا استنادا إلى ما ورد في القرآن الكريم:" **منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**". قال الزمخشري:" لو كان القرآن كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه على الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولارتكنوا على طريقة التقليد. إن وجود متشابه الآيات أدعى إلى أن يشحذوا الفكر للاستنباط ويكدوا في معرفة الحق". ومن هذه الآيات قوله تعالى:" **وجاء ربك والملك صفا صفا**" وقوله تعالى:" **يد الله فوق أيديهم**". وقد أدت محاولة فهم هذه النصوص إلى بروز مسألة التأويل كمسألة فقهية وكلامية نتج عنها خلاف بين المسلمين بين قائل به ومنكر له مثل السلف الذين حملوا النصوص على ظاهرها مع تأويل إجمالي فيقولون: الظاهر غير مراد. أما المتأخرين فقالوا بالتأويل التفصيلي.

ـ عقائد غير المسلمين: من دهرية وصابئة، ومنكري النبوة والبعث، وأهل الكتاب من يهود ونصارى. ووضع أساليب لمناقشاتهم. كما في قوله تعالى:" **ولا تجادلوا أهل الكتاب غلا بالتي هي أحسن**"، وقوله تعالى:" **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**".

وفي الحديث النبوي جاء حث النبي ﷺ على الاجتهاد كما في حديث معاذ حينما أرسل على اليمن قال أجتهد رأيي ولا آل. أما السنة النبوية علمت أساليب الاستنباط مثل سؤال الجارية عن الحج نيابة عن أبيها. قال الأشعري:" فهذا ما علم الله نبيه من رد الشيء إلى شكله ونظيره وهو أصل لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير"

كما أشارت السنة النبوية على مواضيع كلامية فقد وردت أحاديث تثبت النفس منا في الحديث:" إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي"وجاء في السنة عن موضوع الرؤية قوله ﷺ:" إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته" وجاءت أحاديث في القدر مثل قوله ﷺ:" اعملوا فكل ميسر لما خلق له" وكذلك موضوع الهدى والضلال.

2-1: مسألة الإمامة: ذهب علماء الفرق كالأشعري والبغدادي والشهرستاني إلى أن أعظم خلاف حدث في الأمة الخلاف حول الإمامة. يقول الشهرستاني:" وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية كما سل على الإمامة في كل زمان".

بدأ الخلاف حولها إثر وفاة النبي ﷺ إذ توفي ولم يستخلف فقالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وكان اجتماع السقيفة إذ بايع عمر أبا بكر ثم عين عمر الذي جعل الأمر شورى بعد ذلك. ثم كان الخلاف حول إمامة علي.

وكان الخلاف حول الإمامة من عدة جوانب:

ـ وجوب الإمامة.

ـ أحقية قريش بها

ـ بروز الشيعة والقول بالنص، بم بروز السنة والقول بالشورى.

3-1. مسألة الإيمان: من المسائل التي فتحت للنقاش والجدل الداخلي مسألة الإيمان من جهة البحث في: طبيعته: هل هو تصديق فقط أم تصديق وعمل؟ هل يزيد وينقص أم لا؟ هل يجوز الاستثناء فيه أم لا؟

ذهب أهل السنة إلى القول بأن الإيمان له ركن واحد هو التصديق القلبي، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى القول بأنه تصديق ونطق، وذهب جمهور المحدثين والفقهاء إلى القول بأنه: تصديق ونطق وعمل، وذهبت المعتزلة إلى اعتباره معرفة بالله. بينما الخوارج قالت هو الإقرار باللسان والعمل بالطاعات فرضا ونفلا. وذهبت المرجئة إلى أن جميع ما تعبد الله به عباده هو من الإيمان.

4-1.: مرتكب الكبيرة. مما تفرع عن البحث في مسألة الإمامة البحث في مرتكب الكبيرة

وار هنا يتعلق بمرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب من ذنبه أمؤمن هو أم كافر؟ وكان ذلك في إثر حادثة التحكيم. وتشكلت في ذلك عدة مذاهب:

قالت الخوارج بكفره

قال أهل السنة بفسقه لا بكفره

قال المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين.

وقالت المرجئة لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

15- القدر وأفعال العباد. وهو عين موضوع القضتء والقدر كما شاع عند المتكلمين بعد ذلك. القدر من جهة اللغة هو الحكم والإخبار والأمر، وعرف القدر بأنه التقدير، وفي لسان العرب:" المراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق".

وفي الاصطلاح: ورد في رسائل إخوان الصفا:" القضاء هو علم الله السابق بما توجبه أحكام النجوم"

وقال ابن عربي:" القضاء هو حكم الله في الأشياء أن تكون على ما هي عليه كما علمها أزلا"

وعرف القدر بأنه:" توقيت حصول الأشياء كما تقتضيه طبيعة عينه".

وقع خلاف بين المسلمين في فهم موضوع القدر وقد أسفربهذا الخلاف عن ثلاث نظريات أساسية:

القول بالجبر وهو قول الجهمية بالدرجة الأولى ومن قال قولهم، والقول بالاختيار وهو قول المعتزلة، والقول بالكسب وهو قول الإشاعرة الذي يعد متأخرا عن قول المعتزلة والجهمية.

1- 6- ظاهرة الخلاف: من الظواهر التي شهدتها البيئة الإسلامية في وقت مبكر جدا ظاهرة الخلاف؛ إذ تعود هذه الظاهرة في بروزها إلى زمن النبي ﷺ، ويؤكد لنا من اهتم بتاريخ علم الكلام والفرق الإسلامية أن الممارسة النظرية لعلم الكلام ارتبطت بهذه الظاهرة ــ ظاهرة الخلاف ــ ومنهم الشهرستاني الذي يحصر الخلاف في أمرين كبيرين: أحدهما الخلاف في الإمامة والثاني الخلاف في الأصول. ثم يذكر عشر

محطات أساسية من محطات الخلاف في تاريخ الإسلام كانت لها تداعياتها الكلامية بكيفية أو بأخرى وهي:

1ـ حادثة ذي الخويصرة التميمي الذي قال للنبي ﷺ:" أعدل يا محمد فإنك لم تعدل" حتى قال ﷺ:" إن لم أعدل فمن يعدل؟" فعاد اللعين وقال هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى" وذلك خروج صريح على النبي ﷺ، وقد اعتبر الشهرستاني هذا الموقف أسفر عن عدة مسائل كلامية منها:

ـــ القول بتحسين العقل وتقبيحه.

ـــ حكم بالهوى في مقابلة النص.

ـــ استكبار على النص بقياس العقل.

2ـ الخلاف في الالتحاق بجيش أسامة.

3ـ في موته ﷺ.

4ـ في موضع دفنه.

5ـ في الإمامة.

6ـ في أمر فدك.

7ـ في قتال مانعي الزكاة.

8ـ نص أبي بكر على خلافة عمر

9ـ أمر الشورى لاستخلاف عثمان.

10- في عهد علي رضي الله عنه.

ثانيا:العوامل الخارجية: ويراد بها العوامل التي كانت نشأتها خارج البيئة الإسلامية ووصلت إلى المسلمين خاصة من خلال احتكاك المسلمين بغيرهم بفعل حركة الفتوحات

2- 1. الفلسفة اليونانية: من العوامل التي ساعدت على نشأة الفرق الإسلامية و حتى علم الكلام كمؤثر خارجي الفلسفة اليونانية، ولنا هنا أن نتساءل كيف وصلت الفلسفة اليونانية إلى بلاد المسلمين رغم تباعد الأقطار، فليست اليونان من البلاد التي خضعت لفتوحات إسلامية، ولا هي مجاورة لبلاد المسلمين حتى يسهل الاطلاع على ثقافتها؟

تعود مسألة الاطلاع على ثقافة اليونان بالنسبة للمسلمين كون هذه الثقافة انتشرت في آسيا وإفريقيا قبل الإسلام، والأمر يعود إلى زمن القائد اليوناني الإسكندر المقدوني الذي قاد حملة توسعية من خلالها سيطر على الكثير من أقطار هاتين القارتين، وكان يحث اليونان على سكنى هذه الأقطار الجديدة، وقد اشتهرت قبل الإسلام عدة مدن غير يونانية كمدارس ثقافية يونانية منها: جنديسابور في إيران، وحران في الشام، والإسكندرية في مصر.

ويحدد أحمد أمين ثلاث مراحل لترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وهي:

1- من خلافة المنصور حتى آخر عهد الرشيد من 136هـ/193هـ وفيها ترجمت بعض كتب أرسطو وكان المعتزلة سباقين إلى الاطلاع عليها.

2ـ من عهد المأمون من سمة 198هـ/ 300هـ وفيها ترجمت معظم كتب الفلسفة مثل كتب إبقراط، جالينوس، أرسطو، أفلاطون.....

وكان من أوائل الذين ترجموا هو ابن المقفع إذ ترجم كتبا من منطق اليونان. أما عن تأثير ثقافة اليونان في المسلمين فقد كان بفعل مصاحبتها لعصر التدوين وكان تأثيرها في علم الكلام على مستويين:

أ- على مستوى الشكل: وذلك بالاعتماد على المنطق خاصة فقد طبع الجانب الشكلي لعلم الكلام.

ب - على مستوى الموضوع: إذ أدى ذلك إلى بروز مواضيع جديدة في علم الكلام مثل:**التولد:** الفعل المتولد هو بحث في أفعال العباد ويراد بالفعل المتولد "الذي يكون بسبب مني ويحل في غيري"، وقد ذهب المعتزلة إلى القول بأن الفعل المتولد هو فعل

الإنسان، وخافهم في ذلك الأشاعرة على حد ما ذكر الباقلاني والبغدادي وغيرهما. بالإضافة إلى موضوع التولد برز البحث في موضوع الطفرة والتي كان من القائلين بها النظام المعتزلي.

2-2: شبهات اليهود. طرح اليهود جملة من المسائل بغرض نقد العقيدة الإسلامية منها ما هو يتعلق بالألوهية ومنها ما يتعلق بالنبوة

1ـ ما يتعلق بالألوهية: تلتقي اليهودية مع الإسلام في التوحيد والنبوة ولكن مفهوم التوحيد عندهم يخالف المفهوم الإسلامي من وجوه:

أــ التجسيم والتشبيه: كان اليهود على شيء كبير من التجسيم والتشبيه إذ شبهوا الله عز وجل بالمخلوق، ووصفوه سبحانه بأوصاف بشرية فقد قالوا:

" اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه"

" ويعقوب صارع ربه ليلة كاملة"

" وسمع آدم وحواء صوت الرب ماشيا في الجنة"

ويرجع ابن حزم هذا الاعتقاد ألى أمرين:

ـــ ارتباطه بما ورد في التوراة من أن الله خلق آدم على صورته

ـــ ارتباطه بفكرة شعب الله المختار.

وهذا مخالف الإسلام الذي جاء برسالة من خصائصها: العالمية والمساواة بين الناس، وقد أدت هذه الشبهات إلى بروز مبحث الصفات الإلهية كموضوع كلامي اختلف فيه المتكلمون كثيرا.

2ـ ما يتعلق بالنبوة: من الصفات التي أثبتها الإسلام للأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفة العصمة، وقد كان اليهود ينسبون إلى الأنبياء الرذائل وفعل الكبائر مثل ما قالوا في لوط وداود وإبراهيم عليهم السلام، وهذا أدى إلى رد فعل كلامي تمثل في تقرير مبحث النبوة كبحث من مباحث علم الكلام، وتطور الموضوع إلى أن أدى إلى بروز الإسرائيليات وبثها في الثقافة الإسلامية.

من جهة أخرى طرح البحث في موضوع النبوة البحث في إشكالية كلامية أخرى هي البحث في **إمكانية نسخ الشرائع**؛ فإذا كان اليهود يتفقون مع المسلمين في إثبات النبوة

إلا أنهم ينكرون نبوة محمد ﷺ وهذا ما أدى إلى بروز مشكلة هي النسخ.؛ فقالت اليهود باستحالة النسخ فلا يغير الله حكما أنزله ولا ناموسا افترضه. ومن هنا ظهرت مسألة البداء ويستدلون عليها نقلا بما ورد في التوراة من أن هذه الشريعة مؤبدة عليكم ولازمة لكم ما دامت السماوات لا نسخ لها ولا تبديل.

ورد لمسلمون على هذا برأيهم في التوراة وهو ما قرره القرآن الكريم:" **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور**" واختلفوا فيما بعد حولها فقد ذهب ابن حزم إلى أنها محرفة في معظمها، وذهب الفقهاء والمحدثين إلى أن التحريف في التأويل لا في التنزيل، وذهب ابن تيمية إلى أنها زيد فيها وغيرت ألفاظ يسيرة.

2-3.: شبهات النصارى. كان من العرب قبل مجيء الإسلام من هو على الديانة النصرانية، وشكلت الجزيرة العربية في ذلك الوقت بيئة مكانية احتضنت الديانتين وقد تناول القرآن الكريم عقائد النصارى مثل عقيدتهم في : ـ طبيعة المسيح، عقيدة الصلب، الخطيئة الأصلية

وهي الثلاثية نشكل أركان العقيدة المسيحية. والتي أبطلها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: " **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام**". وهذا ما دع بالنصارى إلى إثارة شبهات في وجه الإسلام منها:

ــ القول بتعدد الإله: واجه المسلمون القول بتعدد الإله من النصارى إذ كانوا يعتقدون التثليث. يقول الشهرستاني:" وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة قالوا: الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز و الحجمية فهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها الأب والإبن والروح القدس، وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم ".

وقد أبطل الإسلام التثليث في آيات كثيرة مثل قوله تعالى:" **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**"وأبطل عقيدة الصلب:" **وما قتلوه وما صلبوه**" وأبطل ألوهية المسيح:" **قال إني عبد الله آتاني الكتاب**"وأبطل عقيدة الفداء الأعظم وقال بإثبات المسؤولية الفردية ومن ثم تبطل عقيدة الخلاص.

2ــ الاتحاد والحلول: وكلاهما يعني اختلاط الذات الإلهية بذات الإنسان كليا أو جزئيا؛ إلا أن الاتحاد صعود الإنسان، والحلول نزول الإله إلى الإنسان وقد أخذ بها المسيحيون

الذين يقولون بأن المسيح يجمع بين الطبيعتين. فهو الأقنوم الثاني" العلم" الذي تشخص في شخص المسيح وكانت مشكلة التجسيم التي عرفتها المسيحية لها أثرها داخلالمسيحية وخارجها. وقد واجه المسلمون هذه المسألة بطرح أسئلة في صميم الموضوع فقالوا:

ـــ كيف تلد مريم إلها وهي من البشر.

ـــ إذا كان الاتحاد فعلى أي نحو يكون؟ تام أم جزئي؟ من طبيعة واحدة أم من طبيعتين؟

ـ على أي جزء يقع الموت الجزء الإلهي أم الجزء البشري؟.

وقد كان الغرض من قولهم هذا إفساد عقيدة التوحيد التي يقول بها الإسلام، وقد ترتب على هذا مسائل كلامية أشهرها مسألة الكلام أو خلق القرآن فالمسيحيون أجمعوا على أن كلمة الله في دلالتها على السيد المسيح عليه السلام قديمة، وهذا يؤدي إلى القول بتعدد القديم، وقد أنكر المسلمون ذلك فقالت المعتزلة بخلق القرآن، وأنكر الحنابلة ذلك، وقسم الأشاعرة الكلام إلى نفسي قديم وإلى كلام على النحو الذي بلغ به محمد ﷺ، ومن ثم تطور البحث الكلامي في موضوع الألوهية وتبلور مبحث الذات والصفات.

كما ظهرت مثل هذه الآثار على مستوى المتصوفة، وعند بعض فلاسفة الإسلام مثل الحلاج والفارابي.

4-2:شبهات ديانات الشرق القديمة. ويقصد بها ديانات الفرس والهند على وجه الخصوص وهي الديانات التي التقى بها الإسلام في حركة فتوحاته وذلك كما يلي:

ـ **ديانات الفرس**: وأبرزها ثلاث ديانات: الزردشتية، المزدكية والمانوية.

وخلاف الإسلام مع هذه الديانات كان خلافا أخلاقيا أكثر مما هو عقائدي هذا البعد الأخلاقي الذي تبلور في مسألة كلامية هي مشكلة الخير والشر،، وإذا كانت هذه الفرق تصنف حسب الشهرستاني في إطار الثنوية، فالتثنية بدأت فكرة أخلاقية تسعى إلى تفسير الشر في العالم.

أما الشهرستاني فيذكر الزردشتية أن لهم شبهة كتاب، وقد عالجوا أصل الوجود من زاوية أخلاقية . يقول الشهرستاني:" وقال النور والظلمة أصلان متضادان ونذلك يزدان وأهرمس هما مبدأ موجودات العالم". وقد أدى هذا إلى اعتناء المسلمين بالأخلاق كمسألة كلامية حتى يبطلوا شبهات هؤلاء فبرزت المعتزلة وقالوا بالعدل، وضمنوه بالقول باللطف والصلاح والأصلح.

أما المانوية فقد قالوا بقدم النور والظلمة ووصفها بأوصاف بشرية كالحس والإدراك، وهذبوا إلى القول بنكران البعث. أما المزدكية فكانت تنسب حرية الاختيار إلى النور كما كان زرادشت يقول بالتشخيص، وانصبت جهود المتكلمين على الرد على هؤلاء.

ـ **ديانات الهند**: وأهم هذه الديانات ديانتان:

ـ **البرهمية:** قال البراهمة بتناسخ الأرواح وانتقلت هذه الفكرة إلى المسلمين فقال بها القرامطة، أبو مسلم الخراساني، محمد بن زكريا الرازي، وبعض غلاة الشيعة.

من جهة أخرى قالوا بإنكار النبوة لأن العقل في نظرهم يغني عن مجيء الرسول.وترتب على هذا البحث في العدل الإلهي وإثبات عقيدة اليوم الآخر وحاجة الناس للرسل.

ب ــ البوذية: وقد واجهت الإسلام في مسألتين:

ـــ موقف اللا إدرية تجاه موضوع الألوهية.

ـــ قولهم بأن المعرفة ذات طابع حسي

وجميع هذه العوامل سواء الداخلية أو الخارجية عدت عند المهتمين بتاريخ الفرق الإسلامية عوامل نشأة الفرق الإسلامية.

ثانيا

الفرق الكبرى

يذكر الشهرستاني أن الفرق الكبرى التي ظهرت في الإسلام أربع فرق أساسية وهي: القدرية وهم المعتزلة بالأساس، والصفاتية، والخوارج والشيعة، وكل فرقة تتفرع عنها العديد من الفرق، ويرى الشيخ عبد الحليم محمود من المعاصرين في كتابه التفكير الفلسفي في الإسلام أن المرجئة ليست فرقة بقدر ما هي نزعة تتخلل مختلف الفرق الأخرى.

1- المعتزلة: لماذا المعتزلة أولا؟ لأنها أول فرقة تؤسس لعلم الكلام، وهذا ما ذهب إليه علماء الفرق، يقول الإسفراييني:" هم أول فرقة أسسوا قواعد الحلاف وجمعوا بين النقول والمعقول، وأقتموا سيتجا قويا من البرتهين العقلية والحجج المنطقية للدفاع عن العقيدة في مواجهة المخالفين لها والمعترضين عليها"

1-1.تعريف المعتزلة. المعتزلة في اللغة من اعتزل يعتزل؛ أي ترك وفارق، واصطلاحا المعتزلة تسمية لفرقة من الفرق الإسلامية يجمعها القول بالأصول الخمسة. قال الخياط:" وليس يستحق أحدهم اسم المعتزلة حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي"

وفي أصل تسمية المعتزلة وردت عدة روايات منها ما ذهب إليه النوبختي أن المعتزلة جماعة اعتزلوا عليا فلم يحاربوه ولم يحاربوا معه فسموا معتزلة، وذهب الملطي إلى أنهم سموا معتزلة بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية فاعتزلوا السياسة ولزموا مساجدهم ومنازلهم فسموا لذلك بالمعتزلة. إلا ان أشهر الروايات ما يذكر من بروز موضوع مرتكب الكبيرة هل هو مؤمم نام كافر؟ فذهب البعض إلى الإمام الحسن البصري وسألوه هذا السؤال وقبل أن يجيب الإمام تقدم تلميذه واثل بن عطاء الغزال وقال لا هو مؤمن ولا هو كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين ثم اعتزل مجلس الإمام فقال الحسن البصري لقد اعتزلنا واصل بن عطاء ومنذ ذلك الحين اشتهر واصل وجماعته بالمعتزلة. وصار القول بالمنزلة بين المنزلتين أحد الأصول الخمسة التي يقوم عليها الاعتزال.

على الرغم من نشأة المعتزلة في العصر الأُموي، غير أنهم شغلوا الفكر الإسلامي في العصر العباسي وقتًا طويلًا، ويختلف العلماء في وقت ظهورهم، فبعضهم يرى بداياتهم

أيام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حيث اعتزل بعض الصحابة السياسة وانصرفوا إلى العقائد والعبادات عندما تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وفي ذلك يقول الحسين الطرائفي في كتابه (أهل الأهواء والبدع): وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن معاوية وسلم الأمر إليه، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة.

والكثير من العلماء يؤكد على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي. فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر، وهي مسألة مرتكب الكبيرة، فقال واصل مخالفا الحسن: أنا أقول: إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن على الإطلاق، ولا هو كافر على الإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن، واتخذ له مجلسًا آخر في المسجد.

والمعتزلة في كتبهم يرون أن مذهبهم أقدم في نشأته من واصل بن عطاء فيعدون من رجال مذهبهم كثيرين من آل البيت، ويعدون من مذهبهم أيضا الحسن البصري، فقد كان يقول في أفعال الإنسان مقالة القدرية، وهي مقالتهم، ويقول كلامًا في مرتكب الكبيرة يقارب كلامهم وليس مناقضا له، إذ أنه يقول إنه منافق.وبذلك لا يتباعد منهم، إذ أن المنافق مخلد في النار، ولا يعد من أهل الإيمان.

وقد ذكر طبقاتهم "المرتضى" في كتابه "المنية والأمل" والذي يؤكده الكثير من العلماء الثقات أن المذهب أقدم من "واصل" وأن الكثيرين من آل البيت قد نهجوا مثل نهجه، كيزيد بن علي الذي كان صديقا لواصل، وأن واصلا من أبرز الدعاة، فكان عند الأكثرين رأس المذهب لأنه أبرز من دعا له.

وحول التسمية والاختلاف فيها يقول الشهرستاني: إن تسمية المعتزلة بهذا الاسم إنما ترجع لعبارة أطلقها الحسن إبان خلافهما "اعتزلنا واصل" فسمي وجماعته بالمعتزلة أما البغدادي فيرى أن هذه التسمية جاءتهم لأنهم اعتزلوا إجماع الأمة، والمسعودي من جانبه رأى أن تسميتهم بالمعتزلة لأن قولهم بالمنزلة بين المنزلتين إنما يعني عزل مرتكب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين فسمي أصحاب هذا القول أي المنزلة بين المنزلتين بالمعتزلة، بينما يرى المرتضى المعتزلي أنهم من أطلق التسمية على أنفسهم لاعتزالهم الأقوال المحدثة والمبتدعة، بينما يذهب المستشرق نيللينو أنهم استعاروا التسمية ممن وقفوا موقفهم السياسي الشهير في اعتزال الفتنة الكبرى وهو رأي ساقه أيضا النوبختي "لما قتل عثمان افترق الناس ثلاث فرق ..... وفرقة اعتزلت مع سعد

بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد، فسموا المعتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد" ويرجحه ما ذكره السبكي من أنه وقع على كتب للمعتزلة يصنف عبد الله بن مسعود المعلوم اعتزاله القتال بين علي ومعاوية كأحد روادهم.

ويذهب أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام إلى ربطهم بفرقة يهودية يقال لها "الفروشيم" وقال: إن معناها المعتزلة، وذكر بعضهم هذه الفرقة أنها كانت تتكلم في القدر، وتقول ليس الأفعال كلها خلقها الله. فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ قد أطلقه على المعتزلة قوم أسلموا من اليهود لما رآوه بين الفرقتين من الشبه، وهو رأي بعيد غذ لم لم تذهب إليه مصادر الفرق الإسلامية المشهورة.

2-1- مبادئ المعتزلة: وهي الأصول التي أجمعوا عليها، واشتهر بها مذهبهم وصارت مميزة لهم عن غيرهم وهي:

1- التوحيد

2- العدل

3- الوعد والوعيد

4- المنزلة بين المنزلتين

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والقارئ لكتب المعتزلة يلاحظ أن الأصلين الرئيسين هما (التوحيد، والعدل)؛ ولهذا فإن القاضي عبد الجبار في كتابه "المغني في أصول الدين" جعلهما أصول الدين. ولكنه في "مختصر الحسنى" قال: "إن أصول الدين أربعة: التوحيد والعدل والنبوات والشرائع، وجعل ما عدا ذلك من الوعد والوعيد والأسماء والأحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دخلا في الشرائع"؛ ذلك أنه في "المُغني" أرجع النبوات والشرائع إلى أصل العدل "لأنه كلام في أنه تعالى إذا علم أن إصلاحنا في بعثه للرسل، وأن نتعبد بالشريعة- وجب أن يبعث ونتعبد، وكذلك "الوعد والوعيد" داخل في العدل؛ لأنه كلام في أنه تعالى إذا وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، فلا بد أن يفعل ولا يخلف في وعده ولا في وعيده، ومن العدل أن لا يخلف ولا يكذب، وكذلك "المنزلة بين المنزلتين" داخل في باب العدل، لأنه كلام في أن الله تعالى إذا علم أن صلاحنا في أن

يتعبدنا بإجراء أسماء وأحكام على المكلفين وجب أن يتعبدنا به، وكذا الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر."

وقد تساءل القاضي عبد الجبار عن السبب في الاقتصار على الأصول الخمسة، وأجاب بأن قال: "لا خلاف أن المخالفين لنا لا يعدون أحد هذه الأصول. ألا ترى أن خلاف الملحدة والمعطلة، والدهرية، والمشبهة – قد دخل في التوحيد – وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل – وخلاف المرجئة داخل في باب الوعد والوعيد – وخلاف الخوارج داخل تحت المنزلة بين المنزلتين وخلاف الإمامية داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". وبذلك يكون المهتلة بتركيزهم على هذه الصول قد أدخلوا جميع مخالفيهم في الدائة الاعتزالية ول من جهة البحث في كواضيع الاعتزال وأصوله.

ويبحث المعتزلة في أحكام مخالفة هذه الأصول فذهبوا إلى أنه" إما كافر، أو فاسق، أو مخطئ: " فمن خالف التوحيد، ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه فإنه يكون كافرا، وأما من خالف العدل، وأضاف إلى الله تعالى القبائح كلها: من الظلم، والكذب، وإظهار المعجزات على الكاذبين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم، والإخلال بالواجب، فإنه يكفر أيضا، وأما من خالف الوعد والوعيد، وقال إنه سبحانه وتعالى ما وعد المطيعين بالثواب، ولا توعد العاصين بالعقاب البتة، فإنه يكون كافرا، لأنه رد ما هو معلوم ضرورة من دين النبي صلى الله عليه وسلم، والراد لذلك يكون كافرا. وكذلك لو قال إنه تعالى وعد وتوعد، لكن يجوز أن يخلف في وعيده لأن الخلف في الوعيد كرم، فإنه يكون كافرا، لإضافة القبيح إلى الله تعالى، فإن قال: إن الله تعالى وعد وتوعد، ولا يجوز أن يخلف وعده ووعيده، ولكن يجوز أن يكون في عموم الوعيد شرط أو استثناء ولم يبينه الله تعالي، فإنه يكون مخطئا.

وأما من خالف في المنزلة بين المنزلتين فقال: أن حكم صاحب الكبيرة حكم عبدة الأوثان والمجوس وغيرهم فإنه يكون كافرا؛ لأنا نعلم خلافه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة، فإن قال: حكمه حكم المؤمنين في التعظيم والموالاة في الله تعالى، فإنه يكون فاسقا؛ لأنه خرق إجماعا مصرحا به، على معنى أنه أنكر ما يعلم بالضرورة من دين الأمة. فإن قال: ليس حكمه حكم المؤمن ولا حكم الكافر ولكن أسميه مؤمنا، فإنه يكون مخطئا.

وأما من خالف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلا، وقال: إن الله تعالى لم يكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلا، فإنه كافر؛ لأنه رد ما هو معلوم ضرورة من دين محمد صلى الله عليه وسلم. فإن قال: إن ذلك مما ورد التكليف، ولكنه مشروط بوجود الإمام، فإنه يكون مخطئا".

3-1- عقائدهم: العقائد الأساسية التي أجمعت عليها المعتزلة تمثلت في الأصول الخمسة التي تمت الإشارة إليها، لكن هذه الصول تفرعت عنها مسائل فرعية أوردها الشهرستاني في كتابه الملل والنحل حيث يقول: والذي يعم طائفة المعتزلة الاعتقاد:

1- القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا: هو عالم بذاته، حي بذاته – لا بعلم وقدرة وحياة هو عالم بذاته، ومعان قائمة؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم – الذي هو أخص الوصف – لشاركته في الإلهية.

2- واتفقوا على كلامه محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكاية عنه. فأيما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال.

3- واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته، لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها.

4- واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، ونفي الشبيه عنه من كل وجه: جهة ومكانا وصورة وتحيزا وانتقالا وزوالا، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا النمط توحيدا.

5- اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله: خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا.

6- واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم، وسموا هذا النمط عدلا.

7- واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، والتفضل معنى آخر وراء الثواب. وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكافر.

8- واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل، واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك، وورود التكاليف ألطاف للباري تعالى أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء- عليهم السلام- امتحانا واختبارا.

9- واختلفوا في الأمانة والقول فيها نصا، واختيارا.

1-4- أثر الفلسفة اليونانية في منهج المعتزلة.

بدأت ترجمة الفكر اليوناني إلى اللغة العربية في عهد الأمويين حسب ما يذكر احمد أمين في كمتبه ضحى الإسلام، وأخذت الصفة الرسمية في عهد العباسيين كما يذكر ابن النديم في الفهرست الاحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام في آخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي. والفلسفة من أنماط الفكر التي توجس منها بعض المسلمين وأعجب بها البعض الآخر مثل المعتزلة فبرز أثرها في آرائهم، وأخذوا عنها كثيرا في استدلالهم فظهرت في أدلتهم ومقدمات أقيستهم. وقد دفعهم إلى دراسة هذه الفلسفة عدة أمور منها:

2- أنهم وجدوا فيها ما يشبع نهمهم المعرفي وشغفهم الفكري، الأمر الذي مكنهم من نمط استدلالي جديد ما صار يعرف بثنائية النقل والعقل على انها تكاملية لا ضدية.

2- وظفوها كسلاح في وجه الخصوم الذين خاحموا الإسلام فردوا عليهم بأدواتهم. وقد وفق المعتزلة كثيرا في رد الشبهات التي ترد على الإسلام من طرف غير المسلمين خاصة من النصارى والوثنيين وأبناء ديان الشرق القديمة من خلال المناظرات التي كانوا يقيمونها. يذكر أحمد أمين أن أحد السمنية أيام الرشيد قدم بغداد وتحدى المسلمين ان يناظروه فواجهه احد المحدثين فقال له هات شبهتك فقال الرجل أتؤمن أن الله على كل شيء قدير قال نعم، قال هل يقدر على خلق إله آخر، فقال المحدث هذه من مسائل الكلام وانا لا أخوض فيها، فبلغ الأمر الرشيد فغضب وقال أما لهذا الدين من يدافع عنه ؟ فقيل له المعتزلة فجاء أصغرهم وقال للرجل هات شبهتك فطرحا فقال له أنت مخطئ تقول إله وتقول مخلوق والإله لا يكون مخلوقا فلم يجد الرجل ما يقول، وهذا من أنماط الاستدلال التي استقوها من الفلسفة، وعموما فعلاقة المعتزلة بالفلسفة اليونانية تمثلت في :

- مساهمتهم بشكل فاعل في نقل التراث والثقافة اليونانية في جانبها الفلسفي والعقلي إلى الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال اطلاعهم على تلك الثقافة اليونانية، وتمثّلهم لمعطياتها العقلية والفلسفية .

- المساهمة في الجمع بين الدين والفلسفة، بينما كان معارضوهم يرون في النزعة الفلسفية نوعاً من الزندقة والإلحاد والخروج عن قواعد الدين.

ـ بتميزهم المنهجي القائم على الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، وأساليب الجدال والمناظرة أدّوا دوراً كبيراً وبارزاً في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد معتقدات المخالفين من الداخل والخارج.

ـ ساهموا في إرساء دعائم حركة عقليّة واسعة كان لها أكبر الأثر في صياغة الحضارة الإسلامية؛ نظراً إلى أن مذهبهم كان يقوم على احترام العقل وتمجيده، والتعويل عليه في استنباط واستنتاج الكثير من الأحكام الشرعية من جهة، وأساليب التفكير السليم من جهة أخرى. وقبل هذا وذاك على نصوص الشرع.

وعلى أثر اعتماد المعتزلة على العقل كمرجع أساس في استنباطاتهم، وتقريراتهم، ونتيجة لعدم جمودهم على النصوص، وتعبّدهم بها بشكل مبالغ فيه، فقد كان لهم دور كبير في إشاعة أجواء حريّة التفكير، والعقل، وهذا الاتجاه الذي نشط بشكل واضح في العصر العباسي.

لعبت المعتزلة دورا رئيسيا ومهما في رحلة تطور الفكر الإسلامي على مر التاريخ. فقد امتدح دورهم الإمام أبو زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية، حيث يقول: "إن هؤلاء (المعتزلة) يعدون فلاسفة الإسلام حقا، أما أحمد أمين، فيقول: "وكان للمعتزلة الفضل الأكبر في علم الكلام، لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام ضد ما كان يثيره اليهود والنصارى من هجوم. حتى لقد كانوا فيما روي يرسلون أتباعهم الكثيرين إلى البلدان الأخرى لرد هذا الهجوم ردا عقليا". وكان يتأسف على زوال المعتزلة .

كانوا يعتمدون – في الاستدلال لإثبات العقائد – على القضايا العقلية إلا فيما يعرف إلا بالعقل، وكانت ثقتهم بالعقل، لا يحدها إلا احترامهم للنصوص الشرعية. فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل، فما قبله أقروه وما رفضه رفضوه، وقد أوتي لهم ذلك من خلال:

ـ اطلاعهم على الشرع

ـ اطلاعهم على الفلسفة

ـ معرفتهم بعقئد المخالفين

بافضافة إلى السند السياسي الذي اتيح لهم خاصة أيام المامون الذي قربهم وفسح لهم المجال حتى برزوا كنخبة فكرية في زمانهم.

2ـ الخوارج.

2-1ـ التعريف بهم: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس

وقد أطلقت كلمة الخوارج هذه في كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الإمام علي رضي الله عنه. فيقول الأزهري في (تهذيب اللغة): والخوارج: قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة. وهو تعريف ابن منظور والفيروزآبادي أيضاً . ويقول الزبيدي عنهم: هم الحرورية والخارجية طائفة منهم، وهم سبع طوائف سموا به لخروجهم على الناس أو عن الدين أو عن الحق أو عن علي كرم الله وجهه بعد صفين.

لكن المعتبر في التعريف بالفرق هو تعريف علماء الفرق الذين ذهبوا إلى أن الخروج وصف لمن خرج على إمامه يقول الشهرستاني:"كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان"

ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه. قال الأشعري: "والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب" .

2-2ـ نشأة الخوارج: اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأة الخوارج في التاريخ الإسلامي، وخلاصة ذلك ما يلي:

قيل بأن نشأتهم كانت في عهد النبي ﷺ، وتم ربط نشأتهم بما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم من قيام ذي الخويصرة التميمي- في إحدى الغزوات في

وجه الرسول معترضاً على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للفيء، وأنه لم يعدل - حاشاه - في قسمتها. وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم: الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج، وظهور الخوارج كفرقة لها آراء ومواقف عقدية.؛ فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيماً للخوارج، لأن فعلته حادثة فردية- ولم يكن مدفوعاً من أحد، إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فيمكن القول بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل نشأتهم كانت في عهد عثمان رضي الله عنه. وهو رأي لبعض العلماء أيضاً كابن كثير وابن أبي العز, ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقدي بحت، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة –وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقدية.

وقيل: أن نشأتهم كانت في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، وهو قول لورجلاني الإباضي.

و قيل: بأن نشأتهم ارتبطت بحادثة صفين، وطرح مسألة التحكيم؛ الأمر الذي جعل البعض منهم يرى ذلك تحكيم للرجال في كتاب الله وهي الواقعة التي عرفت طرح مسألة مرتكب الكبيرة. وهذا هو المشهور عند علماء الفرق وعلى ذلك صار إسم الخوارج يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة .

2-3- عقائد الخوارج :

لم يكن للخوارج عند بدء ظهورهم منظومة أفكار تشكل مذهبهم الذي فارقوا به أهل السنة، فقد كانت مفارقتهم للمسلمين متعلقة باعتراضهم على مسألة التحكيم، إلا أن

مذهب الخوارج اتسع وصارت لهم آراء تميزهم عن غيرهم،قال عنها الشهرستاني هي ما أجمعوا عليه وهي:

1. الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا.

2. تكفير أصحاب الكبائر.

3. التبري من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

4. تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي، فكل من ينصبونه ويقيم العدل فهو الإمام، سواء أكان عبدا أم حرا، أعجميا أم عربيا. وذهبت طائفة منهم وهم النجدات إلى عدم حاجة الناس إلى إمام، وإنما على الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن لابد من إمام جاز لهم أن يقيموا لهم إماماً.

5. إسقاط حد الرجم عن الزاني، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال دون من قذف المحصنات من النساء.

7. تكفير أصحاب الكبائر.

2-4- فرق الخوارج: ذهب البغدادي إلى ان عدد فرق الخوارج بلغ العشرين فرقة، والفرق الكبيرة من هذه الفرق وهي التي أثرت في مسار حركة الخوارج عقديا وسياسيا هي:

ـ المحكمة الأولى، وهم من يعرفون بالحرورية ورأسهم عبد الله بن الكواء

ـ الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق

ـ النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي

ـ الإباضية: أتباع عبد الله بن أباض، يذهب علماء الفرق إلى انهم رقة من الخوارج لكن علماء الإباضية ينكرون ذلك ويعتبرون انفسهم مذهبا مستقلا.

وكل هذه الفرق تقترب فيما بينها وغن كانت هناك خلافات جزئية إلأن ان اسم الخوارج يجمعها كلها، ومما تجدر الإشارة إليه أن الخوارج بالمفهوم السائد عند علماء الفرق لم يعد لهم وجود، فجميع فرقهم اندثرت باستثناء فرقة الإباضية إذا لإخذنا برأي علماء الفرق كما هو مبسوط في كتبهم.

3- أهل السنة والجماعة.

التعريف بهم : وهم الذين كانوا يثبتون الصفات لله عز وجل، ولذلك اصطلخ عليهم الشهرستاني اسم الصفاتية وبذلك يقفون في جهة الضد للمعطلة نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة، والصفاتية هي تسمية شاملة لجميع مثبتي صفات لله عز وجل بما في ذلك السلف، ولن نجد له توظيف مصطلح أهل السنة والجماعة خلاف البغدادي الذي وظف هذا المصطلح.

ومصطلح أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به عدة امور:

- إذا أطلق في الفروع فهو يقابل البدعة.

- إذا أطلق في الأصول فإنه يراد به ما يقابل المعتزلة والجبرية..

- إذا أطلق في الإمامة فإنه يأتي مقابلا للشيعة والخوارج

3-1-مبادئهم: ذهب البغدادي في الفرق بين الفرق إلى ان أهل السنة والجماعة اجتمعوا على 15 أصلا تميزوا بها عن غيرهم وهي:

1- إثبات حقائق العلوم

2- العلم بحدوث العالم

3- معرفة صانع العالم.

4- معرفة الصفات الأزلية.

5- معرفة أسماء الله وصفاته.

6- معرفة عدله وحكمته.

7- معرفة رسله وأنبيائه.

8- معرفة المعجزات والكرامات

9- معرفة ما أجمعت عليه الأمة.

10- معرفة أحكام المر والنهي.

11- معرفة احام العباد في المعاد.

12- معرفة مسائل الخلافة والإمامة.

13- معرفة الإيمان والإسلام.

14- معرفة أحكام الأولياء.

15- معرفة أحكام الأعداء الكفرة.

هذه الأصول التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة حسب ما ذكر البغدادي ويلاحظ وجود البعض منها عند المخالفين من الشيعة والمعتزلة والخوارج، ونقاط التقاطع هذه ما سوغ للبعض تسميتها بالفرق الإسلامية.

2-3- تيارات أهل السنة والجماعة: ذهب علماء الفرق إلى أن أهل السنة والجماعة يصنفون إلى متقدمين و متاخرين؛ فالمتقدمون هم جيل السلف والذين لم يكن في زمنهم نقاشا عقديا، والخلف هم الأشاعرة والماتريدية

3-2-1- الأشاعرة:

3-2-1-1- التعريف بالأشعرية: الأشعرية فرقة كلامية تنسب إلى مؤسسها الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ولد بالبصرة سنة 260هـ وتوفي بها سنة 324هـ ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، اهتمت مختلف كتب التراجم بترجمته مثل: وفيات الأعيان، وسير أعلام النبلاء، وطبقات الشافعية وتبيين كذب المفتري....وغيرها.

نشأ الأشعري معتزليا واستمر اعتزاله حتى بلغ الأربعين من العمر، أو قارب ذلك وكان شيخه من المعتزلة الأقرب إليه هو أبو علي الجبائي ثم ترك الاعتزال في نظر مترجميه لسببين أساسيين: أحدهما سبب ديني بحت وهو رؤيا رآها؛ إذ رأى النبي ﷺ يأمره بترك ما هو فيه ويأمره بنصرة سنته وهي الرؤيا التي في إثرها أعلن في الناس في جامع البصرة بعد أن عرف بنفسه

وما كان عليه من الاعتزال وأنه خلع ذلك وعاد إلى مذهب أهل السنة وما كان عليه الإمام أحمد رحمة الله عليهم جميعا.

وأما السبب الثاني فهو سبب معرفي تشكل في صميم الجدل الكلامي متفاعلا مع الطرح الذي كانت تطرحه المعتزلة خاصة قولهم بالأصلح، فسأل شيخه الجبائي سؤالا في القدر فلم يتمكن من الإجابة عنه فكان ذلك هو السبب الذي جعل الأشعري يتخلى عن المعتزلة ويعود إلى مذهب أهل السنة.

وهناك رواية أخرى ترتبط بسابقتها أي جداله لشيخه الجبائي أوردها أحمد أمين في ضحى الإسلام أن رجلا سأل الجبائي هل يجوز أن يسمى الله عاقلا قال لا لأن العقل مأخوذ من العقال وهو المنع وهذا لا يجوز في حق الله سبحانه، فقال الأشعري على قولك هذا لا يجوز أن يقال حكيما لأن الحكيم مأخوذ من حكمة اللجام، فقال الجبائي ما تقول أنت؟ قال: أقول حكيما لأن ذلك جاء به نص ولا أقول عاقلا لأنه لم يرد به نص، وبقي الأشعري في مجادلاته هذه لشيخه الجبائي إلى أن انفصل عنه وعن المعتزلة. وهذه محطات تذهب إلى أن عدول الأشعري عن الاعتزال إنما هو توفيق رباني.

3-2-1-2آراؤه الكلامية: استقل الأشعري عن المعتزلة والتف حوله تلاميذ مثل الباهلي وابن مجاهد ثم الباقلاني والجويني....وغيرهم وصار بذلك صاحب مذهب هو المذهب الأشعري وقد أشار ابن تيمية في موافقة صحيح المنقول إلى أنه بعدما رجع عن الاعتزال سلك طريقة ابن كلاب وعاد إلى مذهب أهل السنة وما كان عليه الإمام أحمد. وقد تميز بآرائه الكلامية والتي منها:

1- إثبات وجود الله وهو أصل العقائد، وذلك ببرهان الحدوث.

2- ما يسمى بدلالة الأنفس ــ دليل التخليق

ــ دليل الحاجة

3- إثبات الصفات.

4ـ مسألة التأويل.: جيث توسط الشاعرة في ذلك فيؤولون حيث يجب التاويل ولذا قال صاحب الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيه أوله أو فوض ورم تنزيها

5ـ القول بالكسب

6ـ القول في الإمامة بانها ليست من أصول الدين..

7ـ التنزيه.

8ـ الاستدلال من النقل والعقل على حد سواء

وهي المسائل التي قال بها أهل السنة عموما، وقد عدد البغدادي أصناف أهل السنة وحصرهم في ثمانية أصناف:

ـ الذين تبرأوا من بدع الرافضة والخوارج

ـ أئمة الفقه من مدرستي الرأي والحديث

ـ علماء الحديث.

ـ علماء اللغة

ـ القراء.

ـ المتصوفة

ـ المرابطون

ـ العامة التي غلب فيها شعار أهل السنة

ثم حدد الأصول التي أجمعوا عليها وهي التي تمت الإشارة إليها.

3-2-2- الماتريدية: الماتريدية فرقة سنية تنسب إلى الإمام الماتريدي وهو محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي، نسبة إلى ماترید وهي بلدة في سمرقند، ولد الماتريدي في منتصف القرن الثالث فهو معاصر للأشعري، وتوفي سنة 332هـ، ترك العديد من المؤلفات في التفسير وأصول الفقه، وعلم الكلام منها:

- كتاب التوحيد

- تأولات أهل السنة

- كتاب الجدل

تنتتيب الماتريدية إلى المدرسة السنية كما سبق الذكر وهي معاصرة للمدرسة الشعرية في الظهور وفي الانتشار، ورغم انتماء المدرستين إلى أهل السنة والجماعة إلا أن الماتريدية اختلفت عن الشعرية في العديد من المسائل منها:

1- معرفة الله واجبة بالعقل عند الماتريدية خلاف الأشاعرة.

2- صفة الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة.

3- قالوا بأن كلام الله لا يسمع.

4- قالوا بأن التكوين صفة أزلة وهو غير المكون.

5- التكليف بما لا يطاق مستحيل عندهم

6- أفعال الله تعلل ولها حكمة خلاف الأشاعرة الذين قالوا: الحكمة والتعليل منفيان عن أفعال الله.

7- الحسن والقبح يدركان بالعقل وقال الشاعرة بالشرع.

8- الاستطاعة نوعان قبل الفعل واعني سلامة الأسباب، ومع الفعل وهي ما يتهيأ به الفعل

9- قالوا بتأثير القدرة الحادثة في مفهوم الكسب خلاف الأشاعرة.

10- قالوا بصحة إيمان المقلد.

هذه أهم الفوارق بين المدرستين السنيتين : الأشاعرة والماتريدية، وإن كان الشيخ عبد القادر المجاوي في كتابه القواعد الكلامية يحصي حوالي 40 موضع خلاف بينهما.

4- الشيعة:

4-1- التعريف بالشيعة: من الناحية اللغوية السبعة هم الأنصار والأتباع، يقول ابن دريد في جمهرة اللغة:"فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالأته عليه".وقال الأزهري غب نهضيب اللغة:"والشيعة أنصار الرجل وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم. وشيّعت النار تشييعاً إذا ألقيت عليها ما تذكيها به، ويقال: شيعت فلاناً أي: خرجت معه لأودعه، ويقال: شيعنا شهر رمضان بست من شوال أي: أتبعناه بها.. وتقول العرب: آتيك غداً، أو شَيعَهُ أي: اليوم الذي يتبعه، والشيعة التي يتبع بعضهم بعضاً، والشيع الفرق الذي يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين".

وقال الجوهري في الصحاح:"تشيّع الرجل؛ أي: ادعى دعوى الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَع.

وقال ابن منظور في لسان العرب:"والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة.والشيعة: قوم يرون رأي غيرهم، وتشايع القوم صاروا شيعاً، وشيّع الرجل إذا ادعى دعوى الشّيعة، وشايعه شياعاً وشيّعه تابعه، ويقال: فلان يشايعه على ذلك أي: يقويه"

وقال الزبيدي في تاج العروس:"كل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة"

فالشيعة،والتشيع، والمشايعة في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الممالأة عليه. ثم غلب هذا الاسم وشاع.

وفي الاصطلاح: يعرف سعد بن عبد الله القمي الشيعة بقوله: هم شيعة علي بن أبي طالب، وفي موضع آخر يقول: "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته" ويوافقه على هذا التعريف شيخهم "النوبختي"

ولعل من أقدم من عرف الشيعة من أصحاب المقالات والفرق (من غير الشيعة) الإمام الأشعري، حيث قال:"إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً - رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، ومن أشهر تعريفات الشيعة تعريف الشهرستاني الذي قال فيه:" هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا وإما خفيا".

وقد كانت نشأة الشيعة على ارتباط بحادثة التحكيم ففي الوقت الذي اعترض فيه الخوارج على الإمام علي وانشقوا عنه وقفت إلى جانبه فئة من أصحابه وناصرته وهم الذين سموا بالشيعة واشتهروا بهذه التسمية.

2-4- فرق الشيعة: تعرضت الشيعة لما تعرضت له الفرق الإسلامية عموما من انقسامات كثيرة ، ويذكر الشهرستاني أن عدد فرق الشيعة بتفريعاته جاوزت العشرين فرقة كلها تندج تحت اسم الشيعة، وقد تفاوت تأثير هذه الفرق في مسار تاريخ حركة التشيع في الإسلام فبرزت بعض الفرق كفرق شيعية كبرى منها: الكيسانية، وهم أتباع كيسان مولى الإمام علي، الزيدية أتباع الإمام زيد بن علي، الإمامية وهم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، الغلاة وهم الذين غلوا في حق أئمتهم، الإسماعلية أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق، هذه فرق الشيعة الأساسية ، وقد تفرعت تفريعات كثيرة على حد ما يذكر علماء الفرق. ومعظمها اندثر ومن الفرق التي ما تزال ولها تأثير في الواقع الإسلامي فرقة الإمامية.التي نقف عندها كنموذج للشيعة في المعتقد.

الإمامية هي الطائفة الشيعية التي تقول بإمامة علي رضي الله عنه وأحقيته بها بعد وفاة النبي ﷺ، وانه مقدم في ذلك على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولذلك كان تركيزهم على إمامة اكثر من المسائل العقدية الأخرى فقال:

ـ الحق بالخلافة هو الإمام علي رضي الله عنه

ـ إمامته تبتت بالنص كم في حديث غدير خم: " من كنت مولاه فعلي مولاه"

ـ الطعن في كبار الصحابة كأبي بكر وعمر.

ـ الإمامة أصل من أصول الدين، يقول محمد رضا المظفر:" الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة".

ـ قالوا بتسلسل الإمامة حتى الإمام الثاني عشر وهم:

1- أبو الحسن علي بن أبي طالب

2- أبو محمد الحسن بن علي.

3- أبو عبد الله الحسين بن علي.

4- أبو محمد علي بن الحسين.

5- أبو جعفر محمد بن علي.

6- أبو عبد الله جعفر بن محمد

7- أبو إبراهيم موسى بن جعفر

8- أبو الحسن علي بن موسى.

9- أبو جعفر محمد بن علي.

10- أبو الحسن علي بن محمد.

11- أبو الحسن علي بن محمد.

12- أبو القاسم محمد بن الحسن.

ـ اعتقدوا في الأئمة معتقدات خاصة مثل: العصمة، الرجعة.

أما العصمة وهي الاعتقاد بأن الإمام لا يمكن اتهامه بالأغراض والأهواء، ولا بالجهل والأخطاء. يقول المجلسي:" إن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على ان الإمام معصوم من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة من اول العمر إلى آخره لا عمدا ولا سهوا"

ويذكر الدكتور علي سامي النشار أن فكرة العصمة ظهرت في عهد جعفر الصادق، ويرجح أن مصدرها سياسي لا ديني.

أما الرجعة فتعني عودة الإمام المنتظر ليملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، لكنهم اختلفوا فيمن هو هذا الإمام فبعضهم قال هو محمد بن الحنفية، وبعضهم قال بأنه محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر.

وهكذا من يتتبع الشيعة في معتقداتهم يجد ان مسألة الإمامة سيطرت عليهم بشكل ظاهر إلى درجة أن الشيخ عبد الحليم محمود من المعاصرين يرى أن الشيعة يمكن تصنيفها على أنها حزب سياسي لا فرقة عقدية.